كُتيّبُ الاستماعِ

الصّفُّ العاشرُ

الْفَصْلُ الدِّرَاسِيُّ الثَّاني

كتاب الطالب

10

منتديات صقر الجنوب التعليمية

الإسلامُ والتّفاعلُ الحضاريُّ: حوارٌ أَمْ صراعٌ
لـ (ناصرِ الدّينِ الأسدِ)

حوارُ الثّقافاتِ أو حوارُ الحضاراتِ أو حوارُ الأديانِ أو حوارُ الإسلامِ والغربِ، كلُّها عناوينُ لموضوعٍ واحدٍ، أو لموضوعاتٍ متقاربةٍ متداخلةٍ، لا تكادُ تتمايزُ إلا بشيءٍ مِنَ التّعميمِ أو التّخصيصِ. وهي موضوعاتٌ كَثُرَ تناوُلُها في عددٍ مِنَ الكُتُبِ والمؤتمراتِ، وهي جديرةٌ بإعادةِ القولِ فيها ومداوَرتِها، لتوسيعِ نطاقِ المتفهِّمينَ لَهُ والمقتنعينَ بِهِ، عسى أنْ ينتقلَ الأمرُ مِنْ مرحلةِ الفَهْمِ والاقتناعِ إلى مرحلةِ التّعاونِ على العملِ المشتركِ بينَ جميعِ المؤمنينَ بالسّلامِ والعَدْلِ واقتلاعِ بذورِ الأحقادِ بينَ الشّعوبِ.

منتديات صقر الجنوب التعليمية

وهو حوارٌ قديمٌ قِدَمَ وجودِ الشُّعوبِ ذاتِ الحضاراتِ المتجاورةِ، بحيثُ كانتْ دائمًا تتبادلُ المعارفَ والخبراتِ والسِّلَعَ وأنماطَ الحياةِ مِنْ: سلوكٍ ومَلْبَسٍ ومأكلٍ وطُرُزِ عمارةٍ وأثاثٍ، وتستعيرُ الألفاظَ والعباراتِ وتقاليدَ المجتمعِ، فتصبحُ جزءًا مِنْ مفرداتِ لغاتِها وأساليبِ تعبيرِها وتدخلُ في نسيجِها الاجتماعيِّ؛ فتنمو بذلكَ الثّقافاتُ وتزدهرُ. ولولا تغايُرُ الشُّعوبِ واختلافُ الحضاراتِ ما كان لشيءٍ مِنْ ذلكَ أنْ يحدثَ.

ومِنْ أجلِ هذا خلقَنَا اللهُ سبحانَهُ شعوبًا وقبائلَ لنتعارفَ، ولو شاءَ سبحانَهُ لجعلَنا أمّةً واحدةً، لكنَّ حكمتَهُ عزَّ وجلَّ اقتضتْ أن يخلُقَنا مختلفينَ، وأنْ نظلَّ مختلفينَ، وأنْ نظلَّ كذلكَ، ربَّما مِنْ أجلِ هذا التّعارفِ والتّبادلِ والحوارِ. وحينَ كانتِ العلاقاتُ تضطربُ بينَ هذهِ الشعوبِ المختلفةِ، فتقومُ بينَهم الحروبُ، كانَ يحدثُ مِنْ خلالِها الاتّصالُ والتّعارفُ والتّبادلُ والتّمازجُ؛ فتتحقّقُ الأهدافُ نفسُها بالوسائلِ المتناقضةِ.

وقد قامَ في الآونةِ الأخيرةِ مَنْ يرى أنّ العلاقةَ بينَ الثّقافاتِ والحضاراتِ علاقاتُ صراعٍ لا ينتهي إلا بغَلَبَةِ ثقافةٍ وحضارةٍ بِعَينِهما وسيادتِهما على الثّقافاتِ والحضاراتِ الأخرى. مِنْ ذلكَ ما ذهبَ إليهِ المُؤرِّخُ الأمريكيُّ مِنْ أصلٍ يابانيٍّ (فوكوياما) في كتابِه "نهايةُ التّاريخِ"، الَّذي رأى فيهِ أنَّ تفكُّكَ الاتّحادِ السّوفييتيِّ قد أنهى الصِّراعَ في العالمِ بسيادةِ ثقافةِ النّموذجِ اللّيبراليِّ الأمريكيِّ على ثقافاتِ الأممِ الأخرى. وما ذهبَ إليه الأستاذُ الأمريكيُّ (صمويل هنتغتون) في كتابِهِ: "صراعُ الحضاراتِ"؛ مِنْ أنَّ الصِّراعَ الحاليَّ هو صراعٌ بينَ الثّقافاتِ.

منتديات صقر الجنوب التعليمية

لقد كانَ عصرُ التّنويرِ عندَ الأوروبيينَ هو بدايةُ عصرِ التّخلُّفِ والتّراجعِ للمسلمينَ، وأخذتْ الفجوةُ بينَ هذينِ العالَمَينِ في الاتّساعِ إلى أنْ وصلتْ إلى ما هي عليهِ الآنَ، بالرّغمِ مِنْ بعضِ المشابهِ في مظاهرِ الحضارةِ والتّقدُّمِ بينهُما: في المَلْبَسِ والمَسْكَنِ والمَطْعَمِ والمَشْرَبِ ووسائلِ التّنقُّلِ؛ فهي مشابهٌ تحملُ في طيّاتِها بذورَ الاختلافِ الكبيرِ بينَ عالَمٍ مبدعٍ منتجٍ متطوِّرٍ، وعالَمٍ مستوْرِدٍ مستهلِكٍ لما يبدعُه وينتجُهُ ويطوّرُهُ العالَمُ الأوّلُ. وتحتَ هذهِ القشرةِ مِنَ التّشابُهِ يصطخبُ التّباعدُ والتّناقضُ والاختلافُ.

ومَعَ كلِّ هذهِ المخاوفِ والاتّهاماتِ المتبادَلَةِ فإنّ محاولةَ إقامةِ علاقاتٍ ثقافيّةٍ بينَ الجانبينِ مستمرةٌ في صورةِ أنواعٍ مختلفةٍ مِنْ مؤتمراتِ الحوارِ وندواتِهِ: فمِنْ حوارٍ عربيٍّ أوروبيٍّ، إلى حوارِ الشّمالِ والجنوبِ، إلى حوارٍ إسلاميٍّ مسيحيٍّ. ومعَ أنّ هذا الحوارَ بدأَ- في صورتِه المنظَّمةِ الحديثةِ- منذُ ما يزيدُ على عشرينَ عامًا، إلا إنّ كثيرينَ يُشكِّكونَ في جدواهُ، ويرَوْنَه بلا قيمةٍ حتّى الآنَ، وأنّه محصورٌ بينَ نفرٍ محدودٍ داخلَ غرفٍ مغلقةٍ..، إلى آخرِ هذهِ الأحكامِ الَّتي تنطبقُ على أشكالِ العلاقاتِ الثّقافيّةِ الأخرى.

في خضمِّ هذا الجوِّ مِنْ عدمِ الثّقةِ، ومِنْ عقابيلِ الماضي والحاضرِ، لم يعدْ يكفي أنْ يقفَ المرءُ موقفَ المُشاهِد غيرِ المبالي، ولا موقفَ المُتسامحِ السّلبيِّ، بل لا بُدَّ مِنْ موقفٍ إيجابيٍّ مِنَ التّفاهمِ وإقامةِ علاقاتٍ متداخلةٍ تقومُ على تبادلِ مصالحَ مشتركةٍ، ولا بُدَّ مِنْ محاولةِ تفهُّمِ الآخرِ، وتقبُّلِهِ كما هو، دونَ أنْ يعنيَ ذلكَ تطابقَ جميعِ الآراءِ والاتّجاهاتِ أو الموافقةِ عليها. فالتّواصلُ كالتّعدديّةِ إنّما يعني احتفاظَ كلِّ فريقٍ بخصائصِهِ وصفاتِهِ، وقَبُولَ الآخرِ على حالِهِ، وإلا انتفى معنى التّواصُلِ ومعنى التّعدّديّةِ.

ولا بُدَّ في هذا المجالِ مِنَ التّفرقةِ بينَ الأفكارِ والمواقفِ وبينَ التّعاونِ وتبادلِ العلاقاتِ الثّقافيّةِ، وكذلكَ لا بُدَّ في المجالِ الدّينيِّ مِنَ التّفرقةِ بينَ العقيدةِ والمعاملةِ، فإنّ المرءَ أو الشّعبَ يستطيعُ أنْ يحتفظَ بآرائِهِ، وبمواقفِهِ القوميّةِ والوطنيّةِ، وبعقيدتِهِ الدينيّةِ، وفي الوقتِ نفسِهِ يُقيمُ مَعَ مَنْ يخالفُه أنواعَ العلاقاتِ السّياسيّةِ والاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والثّقافيّةِ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (سورة النحل). ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ (سورة العنكبوت/ الآية 46). ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (سورة الممتحنة).

(ناصر الدين الأسد، نحن والآخر)

منتديات صقر الجنوب التعليمية

المِفتاحُ

لـ (هند أبو الشّعر)

تجرُّ حذاءَكَ الكبيرَ ببطءٍ على المِساحاتِ الإسفلتيّةِ، تتابعُ الظِّلالَ الصباحيّةَ المغمّسةَ بالنّدى، تراها تستطيلُ معكَ، تلحقُ خُطاكَ المتعبةَ، رماديّةً وباهتةً، تَبعثُ في النّفسِ الوَحْشةَ والتّردُّدَ: تُحسُّ بأنّ كلَّ الأشياءِ باهتةٌ، والنّهارُ ينفرشُ ببطءٍ على الدُّورِ.. لا تحِبُّ هذهِ الساعةَ، دائمًا، وفي الوقتِ نفسِهِ، أنتَ والمِساحاتُ الإسفلتيّةُ، بحذائِكَ المُجعّدِ، وكومةُ المفاتيحِ إيّاها تُثْقِلُ جَيبكَ الخاوي.. وهم، كلُّهم يتكرّرونَ أمامَكَ.. نفسُ الوجوهِ المُنْسلّةِ مِنْ بيوتٍ مليئةٍ بالأجسادِ، يضغطونَ الفقرَ والغضبَ في مِساحةٍ ضيّقةٍ على الجبينِ، ويتطلّعونَ بإصرارٍ عجيبٍ إلى المِساحاتِ الإسفلتيّةِ.

منتديات صقر الجنوب التعليمية

-مهمومونَ..!

هذا ما قُلْتَ لنفسِكَ يا (فايز الجابر) وأنتَ تفعلُ مثْلَهُم، تغرزُ جبينكَ في الأرضِ، وكأنّكَ مشدودٌ بجاذبيّةٍ لا تُقَاوَمُ إلى المساحاتِ الرّماديّةِ البشعةِ، تُجَرِّبُ فجأةً وبحركةٍ سريعةٍ، أنْ ترفعَ بصرَكَ إلى الأُفقِ، تجدُهُ بعيدًا.. وتعرفُ تمامًا، مثلَ كلِّ صباحٍ بأنّه مجرّدُ مِساحاتٍ خاليةٍ وغريبةٍ.. ليستْ لكَ .. ولا لهذهِ الوجوهِ المقطّبَةِ.. ليستْ لكم وإنّما للآخرينَ..! يجذِبُكَ المِغْناطيسُ الأرضيُّ إلى المِساحاتِ الإسفلتيّةِ وتَقْنَعُ بمراقبةِ حذائِكَ المُجعّدِ القديمِ...

-صباحُ الخيرِ..؟

يُصِرُّ بائعُ الكعكِ على تحيّتِكَ، تمامًا كما يفعلُ كلَّ صباحٍ، وهو يستعدُّ للوقوفِ أمامَ أبنيةِ المدرسةِ، يظُنُّكَ يا (فايز الجابر) شيئًا ذا قيمةٍ، لكَ سلطةٌ ووظيفةٌ محترمةٌ، فأنتَ الحارسُ الليليُّ للمدرسةِ.. تُردِّدُ تحيَّتَهُ بأحسنَ منها

وتسألُهُ عَنْ صحَّتِهِ، ثُمَّ تنسلُّ بظلِّكَ الضّامرِ مِنْ مدى بصرِهِ.. تلاحِقُكَ رائحةُ الكعكِ الطّازجةِ.. تهربُ.. والمِساحاتُ تهربُ معكَ.. لا تدري لماذا تحرِّكُ يدَكَ بحركةٍ لا شعوريّةٍ إلى جيبكَ.. تتلمّسُ كومةَ المفاتيحِ اللعينةَ... عشراتُ الأبوابِ تغلِقُها كلَّ يومٍ وتفتحُها أيضًا.. مفاتيحُ تفتحُ الغرفَ المغلقةَ.. الغرفَ المتراصّةَ.. صفوفٌ تملؤُها عشراتٌ مِنَ الأدراجِ الفارغةِ، دائمًا فارغةٌ بعيدةٌ عَنِ الحياةِ أمامكَ.. وأنتَ تنسلُّ يا (فايز الجابر) في المَمرّاتِ وحيدًا.. لا أحدَ معكَ، والممرّاتُ المُعتِمةُ طويلةٌ وموحشةٌ.. وأنتَ وحدَكَ، بيدِكَ كومةُ المفاتيحِ، الكومةُ نفسُها الَّتي تفتحُ الأبوابَ للنّاسِ وتعجزُ عَنْ أنْ تفتحَ لكَ بابًا واحدًا جديدًا.. تتلمَّسُ الكومةَ، وتُمْسِكُ بِهِ بقوّةٍ، المفتاحُ الأخيرُ للغرفةِ الإسمنتيّةِ، حيثُ تنتظرُكَ الأجسادُ المتراصَّةُ، تغطُّ بنومٍ عميقٍ، وتنتظرُ خطُواتِكَ الصباحيّةِ.. الحذاءُ ذاتُه.. وفي السّاعةِ ذاتِها..

منتديات صقر الجنوب التعليمية

تنحدرُ عَنِ الرّصيفِ.. تواجِهُكَ الحُفَرُ.. الحُفَرُ نفسُها الَّتي لا تتغيّرُ.. تحفظُها عَنْ ظهرِ قلبٍ، وتتأفّفُ، يا للقسوةِ.. الأحذيةُ مبقورةٌ.. الشّوارعُ محفَّرَةٌ.. والقلوبُ يحْفُرُها الخوفُ والفقرُ والحاجةُ.. وأنتَ يا (فايز الجابر) بظلِّكَ الضّامرِ، تشدُّ على كومةِ المفاتيحِ الرّسميّةِ الَّتي تُثْقِلُ جيبَكَ..

ماذا لو أنكَ أُصبْتَ بحالةِ جنونٍ فجأةً..؟ وبدلًا مِنْ أَنْ تذهبَ إلى الغرفةِ الإسمنيّةِ إيّاها، ركبْتَ أوّلَ باصٍ وتوجّهْتَ إلى بابِ السّفارةِ الأمريكيّةِ..؟ لماذا لا تفعلُ مثلَهم..؟ كلُّهم يتهامسونَ ويحملونَ أوراقًا ويقفونَ تحتَ الأشعّةِ الحارقةِ، للحصولِ على (الفيزا)، بالأمسِ فقط طاردَتْكَ الفكرةُ.. حلُمْتَ بها..... تلبّسَتْكَ طِوالَ الليلِ، وأنتَ تسيرُ وحيدًا في الممرّاتِ الطويلةِ المُعْتِمَةِ.. سمعتَهم عندَ الظّهرِ يتدارسونَ الأوضاعَ في دكّانِ (أبي أحمد)، قالوا أشياءَ كثيرةً عَنِ الأعمالِ اليدويّةِ هناكَ.. وفهمتَ منهم أنّهم هناكَ في أمريكا

يُرحِّبونَ بالمهاجرينَ، وأنّهم بحاجةٍ إلى عمّالِ محطّاتِ البنزين..(لا حاجةَ بكَ إلى اللغةِ.. يحتاجونَ إلى عضلاتِكَ هناكَ.. لا إلى الألسنةِ..) أطْرقْتَ تفكّرُ بالأمرِ، كنتَ تشربُ الشّايَ بالنّعناعِ معَهُم، وكانَ (أبو أحمد) مثلَكَ يستمعُ إليهم بصمتٍ، وهو يرشُفُ الشايَ ويُضيفُ إليه السُّكّرَ أكثرَ مِنْ مرّةٍ.. ولمَ لا يا (فايز الجابر)..؟ ستُلقي كومةَ المفاتيحِ أمامَ مديرِ المدرسةِ.. تودِّعُهُ.. وتتطلّعُ إلى وجهِه المزروعِ بالدّهشةِ بقوّةٍ.. لَنْ تخافَه بعدَ اليومِ.. وستسيرُ في الشّارعِ إيّاه.. لَنْ تزرعَ جبينَك كالعادةِ في المِساحاتِ الإسفلتيّةِ الرماديّةِ.. ستتطلّعُ إلى الآفاقِ بلا توقُّفٍ، تقفزُ فجأةً، صوتُ الزامورِ المجلجلِ لشاحنةٍ يرعِبُكَ .. تتداعى أحلامُكَ.. تزيدُ مِنْ سرعَتِكَ وتنسلُّ إلى الأمامِ باندفاعٍ، سأستدينُ ثمنَ التذكرةِ.. وأستدينُ أيضا- مبلغًا آخرَ مِنَ المالِ، وأضَعُه في يدِ أمِّ العيالِ، وسأحصلُ على الجنسيّةِ بأيِّ ثمنٍ، سأعملُ أيَّ عملٍ.. في محطّةِ بنزينٍ.. في مطعمٍ، سأُعلِّمُهم عملَ الفلافلِ.. والحمصِ.. وسأسحبُ الأجسادَ المتراصّةَ إلى هناكَ.. وأشتري بيتًا، لَهُ مِساحةٌ واسعةٌ خضراءُ.. سأزرعُ الملوخيّةَ والبِطّيخَ.. ولَنْ أسيرَ هناكَ على المِساحاتِ الإسفلتيّةِ .. ولَنْ أحملَ مفاتيحَ أبدًا في جيبي..

منتديات صقر الجنوب التعليمية

-صباحُ الخيرِ..

صوتُ البابِ الحديديِّ لدكّانِ أبي أحمدَ يَصِرُّ في أذنيكَ.. ووجهُهُ الهادئُ يطالِعُكَ.. يدقُّ قلبَكَ.. يشتعلُ الفرحُ في صدرِكَ، وتُقرّرُ أَنْ تسأَله.. ستفاتِحُه بالمسألةِ.. والرّجلُ طيّبٌ، لن يَغُشَّكَ أو يخذِلَكَ..

-« أبو أحمد»...

-أهلًا يا جار..

-«بتسمح لي بكلمتين»...؟!!

-تفضّل.. كلمتين مع كاسة شاي بالعَسَل»..

-الله يزيد فضلك..

تنفتحُ عينا الرّجلِ فجأةً صوتُكَ المتردِّدُ.. تتابعُه وهو يصبُّ لكَ الشايَ بالنّعناعِ.. يضعُ الأوراقَ الطّازجةَ في الكوبِ.. يقولُ أخيرًا بصوتِه الهادئِ:

-آه.. « كلُّ شيءٍ ممكنٌ ... لكنْ يا جارُ أمَا فكّرْتَ بالغربةِ...؟ أمّا فكّرْتَ أنّكَ في أمريكا، لَنْ تظفرَ بأحدٍ يقولُ لكَ: «صباح الخير»، أو يشاركُكَ فنجانَ شايٍ»...؟

منتديات صقر الجنوب التعليمية

تكرعُ باقي الشّايِ بالنّعناعِ .. تتلمَّسُ بحركةٍ لا شعوريّةٍ كومةً مِنَ المفاتيحِ.. تودِّعُ الرّجلَ، وتتّجهُ نحوَ الغرفةِ الإسمنتيّةِ.. تأخّرْتَ عَنْ موعدِكَ المعتادِ.. تقفُ أمامَ البابِ المُغْلقِ.. تتلمّسُ كومةَ المفاتيحِ، تستخرجُ المفتاحَ بصمتٍ، ورائحَةُ العرقِ الليليِّ تنبعثُ بحرارةٍ مِنَ الأجسادِ الفتيّةِ الحارّةِ.. تتنشَّقُها، وتتوحَّدُ أنفاسُكَ بها.. تحسُّ رائحةَ النعناعِ ما زالتْ تنعِشُ جوفَكَ.. تفكُّ حذاءَكَ المجعّدِ بهدوءٍ، والعيونُ الفتيّةُ تتفتَّحُ أمامَكَ بفرحٍ طازجٍ.

كِتَابُ الطَّالِبِ

حياتُنا وفنُّ المحادثةِ الضّائعِ

لـ (مهى قمر الدين)

كانَ التّواصُلُ عبرَ تاريخِ البشريّةِ وجهًا لوجهٍ، وهو جوهرُ تفاعِلِنا وتواصلِنا الإنسانيِّ، لكن اليومَ مَعَ وجودِ الإنترنتِ وتطبيقاتِهِ المختلفةِ مِنْ مثلِ (فيس تايم) و(سكايب) و(واتساب) و(سناب شات)، بتْنا نرسلُ الرّسائلَ النّصيّةَ والصّوتيّةَ ونتواصلُ بالبريدِ الإلكترونيِّ ونبني الصّداقاتِ عبرَ شبكاتِ التّواصلِ الاجتماعيِّ، حيثُ إنّ هذهِ التطبيقاتِ تتيحُ لنا التحدثَ معًا بسرعةٍ وسهولةٍ، وتمكّننا مِنَ التّغلّبِ على بُعدِ المسافاتِ واختلافِ الأماكنِ الجغرافيّةِ.

وتعدّى الأمرُ كلَّ ذلكَ فأصبحْنا نتحدثُ إلى الأجهزةِ نفسِها عندما نلجأُ إلى مساعدينَ افتراضيّينَ، مثلَ (أَلِكْسا) أو (كورتانا) أو (سيري)، فنطلبُ منهم تقديمَ خِدْماتٍ معيّنةٍ. إلا أنّ هذا النوعَ مِنَ التواصلِ الَّذي باتَ منتشرًا بقوّةٍ، لا سيَّما بينَ الأجيالِ الشّابّةِ، أدّى إلى خسارةِ مهاراتٍ حياتيّةٍ مهمّةٍ قد يكونُ أهمُّها فنُّ المحادثةِ والتّفاعلاتِ الحسّيّة في الحياةِ الواقعيّة.

منتديات صقر الجنوب التعليمية

أشارتْ دراسةٌ حديثةٌ قامَ بها مجموعةٌ مِنَ الباحثينَ في جامعةِ كاليفورنيا إلى أنّ القدراتِ الاجتماعيّةَ للأطفالِ تتدهورُ بشكلٍ كبيرٍ عندما يُعطون الأولويّةَ للتّواصلِ الرقميِّ على حسابِ التّفاعلِ وجهًا لوجهٍ.

ويمكننا القولُ: إنّ أبرزَ ضحايا هذا العالمِ «المتّصل» هو فنُّ المحادثةِ، فاليومَ بِتْنا نرى الناسَ مِنْ حولِنا يمشونَ ورؤوسُهم مُنحنِيَةٌ، وهم يحدّقونَ في شاشاتِهم المحمولةِ، وحتّى عندما يكونونَ بصحبةِ الأهلِ أو الأصدقاءِ يكونُ الجميعُ ملتصقًا بجهازِهِ الخاصِّ، لكن ما هي الأسبابُ الفعليّةُ لهذهِ الجاذبيّةِ القويّةِ للتواصلِ عبرَ الشّاشاتِ على حسابِ التواصلِ وجهًا لوجه؟

تقولُ الأستاذةُ بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، شيري توركل، في كتابها «استعادةُ المحادثةِ... قوّةُ الحديثِ في العصرِ الرقميِّ»، إنّ التواصلَ عبرَ الرسائلِ النصيّةِ يُعطينا الوقتَ للتفكيرِ في ردودِ أفعالِنا والقدرةِ على تعديلِ الرسائلِ وإعادةِ تحريرِها وتقديمِ ذاتِنا بالطّريقةِ الّتي نريدُها مجرَّدةً من أيِّ أخطاءٍ. كما أنّ الشّاشاتِ تسمحُ لنا بالاختباءِ وراءَها لتجنُّبِ الإحراجِ في المواقفِ الّتي تتطلبُ منّا التّعاملَ مَعَ أيِّ مشكلةٍ من المشكلاتِ العمليّةِ أو الشخصيّةِ أو العاطفيّةِ.

منتديات صقر الجنوب التعليمية

ففي «صمتِ التواصلِ» هناك شعورٌ بالراحةِ والأمانِ، مما يعطينا الجرأةَ للتواصلِ مع عددٍ كبيرٍ من الأشخاصِ، حيث يمكنُنا الإبقاءُ على بُعد المسافاتِ العاطفيّةِ والتحكُّمُ فيها لتكونَ لا قريبةً ولا بعيدةً، هذا النوعُ من التواصلِ يحرمُنا من اختبارِ العلاقاتِ الإنسانيّةِ الفعليّةِ بكلِّ ما تحملُ من غنى وفوضى وعفويّةٍ، والتي لا يمكنُ خنقُها بحدودِ التكنولوجيا.

لقد سادَ التّواصلُ الرقميُّ في حياتِنا إلى درجةِ أنّنا بِتْنا نخلطُ بينَ المحادثةِ والتواصلِ، لكنّ هناكَ فرقًا كبيرًا بينَ الاثنينِ، فغالبًا ما نلجأُ إلى وسائلِ التواصلِ لتجنُّبِ الشُّعورِ بالوحدةِ والإحساسِ بوجودِ الآخرينَ في حياتِنا، لكنْ ما يقدّمه لنا هذا التّواصلُ هو بمنزلةِ جرعاتٍ صغيرةٍ مِنَ المحادثاتِ لا يمكنُها أن تتراكمَ لتصلَ إلى مرتبةِ المحادثةِ الحقيقيّةِ وجهًا لوجهٍ، لأنّها تفتقرُ إلى عناصرَ أساسيّةٍ لا يمكنُ أن يوفّرها التّواصلُ الرقميُّ مهما تطوّرتْ أساليبُهُ، فعادةً ما تكونُ المحادثةُ وجهًا لوجهٍ مُثقلةً بالإشاراتِ غيرِ اللفظيّةِ، حيثُ تقدّمُ لنا مجموعةً مِنَ المعلوماتِ والمحفّزاتِ؛ مثلَ تعبيراتِ الوجهِ، ونبرةِ الصّوتِ، ولغةِ الجسدِ الّتي تصلُ إلى أدمغتِنا، حيثُ تتمُّ معالجتُها بسرعةٍ وبطريقةٍ لا واعيةٍ.

وتشيرُ العديدُ مِنَ الأبحاثِ الحديثةِ في علمِ النّفسِ، ومن بينها البحثُ الّذي قامتْ به عالمةُ النفسِ بجامعةِ (يال) الأميركيّةِ (جوي هيرش)، إلى أنّنا خلالَ المحادثاتِ وجهًا لوجهٍ نحاكي إيماءاتِ الآخرينَ لتعزيزِ التواصلِ، حيثُ يعملُ كلٌّ مِنَ التّطابقِ والتّعارضِ بينَ الإيماءاتِ والتّواصلِ اللفظيِّ كإشاراتٍ اجتماعيّةٍ تقومُ بعدَ ذلك بتعزيزِ التّفاعلِ اللاحقِ. كما إنّ ما نفقدُهُ مع التواصلِ الرقميِّ هو القدرةُ على التّعاطفِ مَعَ الآخرينَ؛ لأنّ العلاقاتِ البشريّةَ تتطلّبُ منّا أَنْ نفهمَ مشاعرَ بعضِنا بعضًا، ووجهاتِ نظرِنا، لكنْ عندما يَحْجُبُ عنّا التواصلُ الرقميُّ تعابيرَ الوجهِ وغيرَها يَحْدُثُ تراجعٌ في درجةِ التّعاطفِ.

إضافةً إلى ما سَبَقَ، فإنّ وسائلَ التّواصلِ الرقميِّ تتضمّنُ الكثيرَ مِنْ عناصرِ التّشتيتِ الّتي تؤثرُ في عمقِ التواصلِ. فعندما نتواصلُ مِنْ خلالِ الشّاشاتِ الرّقميّةِ نكونُ معزولينَ في فضائِنا الخاصِّ، ونحن نرسلُ الرسائلَ ونحدّقُ في شاشاتِنا الرقميّةِ، وعادةً ما يحدثُ أن ينبثقَ أمامَنا إشعاراتٌ معيّنةٌ قد تشتّتُ انتباهَنا، أو ربّما نقطعُ الرسالةَ للتحدّثِ مع شخصٍ آخرَ أو للقيامِ بأيِّ مهمّةٍ أخرى، فيصبحُ التواصلُ مُتَقطِّعًا ومُشتّتًا، مما يُفقدُهُ الكثيرَ من ميزاتِ المحادثةِ الفعليّةِ بمفهومها الإنسانيِّ الحقيقيِّ.

منتديات صقر الجنوب التعليمية

يؤكّد عالمُ الفيزياءِ الدنماركيُّ، تور نورترادرز، إنّ أكثرَ من 85% مِنَ المنبّهاتِ الّتي تدخلُ أدمغَتَنا بصريّةٌ، ما يعني أنَّ كلَّ المُحفِّزاتِ البصريّةِ الّتي تَحْدُثُ في وقتٍ معيّن تتنافسُ على جَذْبِ انتباهِنا، وهذا يعني أنّ أيَّ شيءٍ تُعلِّقُ عليه أعيُنُنا يحتملُ أن يصرفَ انتباهَنا بعيدًا عَنِ التّركيزِ على عمليّةِ التواصلِ الرقميِّ قيدَ الإجراءِ، لذلكَ تبقى جميعُ عناصرِ التّشتيتِ الخارجيّةِ سطحيّةً تتنافسُ على جذبِ انتباهِنا، ليصبحَ الانتباهُ –وهو العنصرُ الأكثرُ أهميةً في عمليّةِ التواصلِ الحقيقيِّ– هو العنصرَ الأهمَّ الضائعَ في عالمِ التّشتيتِ المتواصلِ.

في الرّبيعِ الأزرقِ
لـ(مصطفى صادق الرّافعيِّ)

قالَ مصطفى صادق الرافعيُّ:

ما أجملَ الأرضَ على حاشيةِ الأزرَقَينِ؛ البحرِ والسّماءِ.

نظرتُ إلى هذا البحرِ العظيمِ بعينَيْ طفلٍ يتخيَّلُ أنّ البحرَ قد مُلِئَ بالأمسِ، وأنّ السّماءَ كانتْ إناءً له، فانكفأَ الإناءُ فاندفقَ البحرُ، وتسرَّحْتُ مَعَ هذا الخيالِ الطفليِّ الصّغيرِ فكأنّما نالَني رَشاشٌ مِنَ الإناءِ...

إنّنا لَنْ ندركَ روعةَ الجمالِ في الطّبيعةِ إلّا إذا كانتِ النَّفْسُ قريبةً مِنْ طفولتِها، ومرحِ الطّفولةِ، ولعبِها، وبراءتِها.

تبدو لكَ السّماءُ على البحرِ أعظمَ ممّا هي، كما لو كنتَ تنظرُ إليها مِنْ سماءٍ أُخرى لا مِنَ الأرضِ.

إذا أنا سافرْتُ فجئْتُ إلى البحرِ، أو نزلتُ بالصّحراءِ، أو حللْتُ بالجبلِ، شعرْتُ أوّلَ وهلةٍ مِنْ دهشةِ السّرورِ بما كنتُ أشعرُ بمثلِهِ لو أنّ الجبلَ أو الصّحراءَ أو البحرَ قد سافرَتْ هي وجاءَتْ إلَيَّ.

في جمالِ النّفسِ يكونُ كلُّ شيءٍ جميلًا؛ إذْ تُلقي النّفسُ عليهِ مِنْ ألوانِها، فتنقلبُ الدارُ الصّغيرةُ قصرًا؛ لأنّها في سعةِ النّفسِ لا في مِساحتِها هي، وتَعرِفُ لنورِ النّهارِ عذوبةً كعذوبةِ الماءِ على الظّمأِ، ويبدو الفجرُ بألوانِهِ وأنوارِهِ ونسماتِهِ كأنّه جَنّةٌ سابحةٌ في الهواءِ.

في جمالِ النّفسِ ترى الجمالَ ضرورةً مِنْ ضروراتِ الخليقةِ؛ وَيْ كأنّ اللهَ أمرَ العالَمَ ألّا يعبسَ للقلبِ المُبتسمِ.

أيّامُ المَصِيْفِ هي الأيّامُ الّتي ينطلقُ فيها الإنسانُ الطبيعيُّ المحبوسُ في

الإنسانِ، فيرتدُّ إلى دهرِهِ الأوّلِ؛ دهرِ الغاباتِ والبِحارِ والجبالِ.

إنْ لم تكنْ أيّامُ المَصيفِ بمثلِ هذا المعنى، لم يكنْ فيها معنًى.

ليست اللّذةُ في الرّاحةِ ولا الفراغِ، ولكنّها في التّعبِ والكَدْحِ والمشقّةِ حينَ تتحوّلُ أيّامًا إلى راحةٍ وفراغٍ.

لا تتمُّ فائدةُ الانتقالِ مِنْ بلدٍ إلى بلدٍ إلّا إذا انتقلتِ النّفسُ مِنْ شعورٍ إلى شعورٍ؛ فإذا سافرَ معكَ الهمُّ فأنتَ مقيمٌ لم تبرحْ.

يشعرُ المرءُ في المدنِ أنّه بينَ آثارِ الإنسانِ وأعمالِهِ؛ فهو في رُوْحِ العناءِ والكَدْحِ والنِّزاعِ؛ أمّا في الطّبيعةِ فيُحِسُّ أنّه بينَ الجمالِ والعجائبِ الإلهيّةِ.

إذا كنتَ في أيّامِ الطّبيعةِ فاجعلْ فكركَ خاليًا وفرِّغْه للنَّبْتِ والشّجرِ، والحَجَرِ والمَدَرِ، والطيرِ والحيوانِ، والزّهرِ والعشبِ، والماءِ والسّماءِ، ونورِ النّهارِ وظلامِ الليلِ، حينئذٍ يفتحُ العالَمُ بابَهُ ويقول: ادخلْ!

لُطْفُ الجمالِ صورةٌ أخرى مِنْ عظمةِ الجمالِ؛ عرفْتُ ذلكَ حينَما أبصرْتُ قطرةً مِنَ الماءِ تلمعُ في غصنٍ، فخُيِّلَ إليَّ أنّ لها عظمةَ البحرِ لو صَغُر فعُلِّقَ على ورقةٍ.

أليسَ عجيبًا أنّ كلَّ إنسانٍ يرى في الأرضِ بعضَ الأمكنةِ كأنّها أمكنةٌ للرّوحِ خاصةٌ؟

الحياةُ في المدينةِ كشُربِ الماءِ في كُوْبٍ مِنَ الخَزَفِ؛ والحياةُ في الطّبيعةِ كشُرْبِ الماءِ في كوبٍ مِنَ البَلُّورِ السّاطعِ؛ ذاك يحتوي الماءَ، وهذا يحتويهِ ويُبدي جمالَهُ للعينِ.

في هذهِ الأيّامِ الطبيعيّةِ الّتي يجعلُها المَصيف أيامَ سرورٍ ونسيانٍ، يشعرُ كلُّ إنسانٍ أنّه يستطيعُ أن يقولُ للدُّنيا كلمةَ هَزْلٍ ودُعابةٍ...

تقومُ دنيا الرّزقِ بما تحتاجُهُ الحياةُ، أمّا دُنيا المَصيفِ فقائمةٌ بما تلذُّه

الحياةُ، وهذا هو الّذي يغيِّر الطّبيعةَ ويجعلُ الجوَّ نَفْسَهُ هناكَ جوَّ مائدةِ ظُرَفاءَ وظَريفاتٍ ...

تعملُ أيّامُ المَصيفِ بعدَ انقضائِها عملًا كبيرًا، هو إدخالُ بعضِ الشِّعْر في حقائقِ الحياةِ.

هذهِ السّماءُ فوقَنا في كلِّ مكانٍ، غيرَ أنّ العجيبَ أنّ أكثرَ الناسِ يرحلون إلى المصايفِ ليَرَوا أشياءَ منها السماءُ...

إذا استقبلْتَ العالَمَ بالنفسِ الواسعةِ رأيْتَ حقائقَ السّرورِ تزيدُ وتتّسعُ، وحقائقَ الهمومِ تصغرُ وتضيقُ، وأدرَكْتَ أنَّ دُنياكَ إنْ ضاقتْ فأنتَ الضيِّقُ لا هي.

في السّاعةِ التّاسعةِ أذهبُ إلى عملي، وفي العاشرةِ أعملُ كَيْتَ، وفي الحاديةَ عشرةَ أعملُ كَيْتَ وكَيْتَ؛ وهنا في المَصيفِ تفقدُ التّاسعةُ وأخواتُها معانيها الزّمنيّةَ الّتي كانتْ تضعُها الأيّامُ فيها، وتستبدلُ منها المعاني الّتي تضعُها فيها النَّفْسُ الحرّةُ.

هذهِ هي الطريقةُ التي تُصنعُ بها السّعادةُ أحيانًا، وهي طريقةٌ لا يقدرُ عليها أحدٌ في الدّنيا كصغارِ الأطفالِ.

إذا تلاقى النّاسُ في مكانٍ على حالةٍ متشابهةٍ مِنَ السّرورِ وتوهُّمِه والفكرةِ فيه، وكانَ هذا المكانُ مُعَدًّا بطبيعتِهِ الجميلةِ لنسيانِ الحياةِ ومكارِهها، فتلكَ هي الرّوايةُ وممثِّلوها ومسرحُها، أمّا الموضوعُ فالسّخريةُ مِنْ إنسانِ المدينةِ ومَدنيّةِ الإنسانِ.

ما أصدقَ ما قالوهُ: إنّ المرئيَّ في الرّائي! مرضْتُ مدّةً في المصيفِ، فانقلبَتِ الطبيعةُ العروسُ الّتي كانت تتزيّنُ كلَّ يومٍ إلى طبيعةٍ عجوزٍ تذهبُ كلَّ يومٍ إلى الطّبيبِ.

(مصطفى صادق الرافعيّ، وحي القلم)

عرارٌ شاعرُ الأردنِّ

لـ (يعقوب العودات - البدويُّ الملثّمُ)

مِنْ حقِّ الأردنِّ أَنْ يفخرَ بِـ(عرارٍ) ويباهي بشاعرٍ نبَتَ في روابيه وبِقاعِه، ودرَجَ على هضابِهِ وتِلاعِه، وقد لاقى المتاعبَ والأهوالَ.

منذُ عرفْتُ عرارًا وأنا كَلِفٌ به، مُستقْصٍ آثارَهُ، ومنذُ عرفْتُ أبا وصفي وأنا كَلِفٌ بأخبارِهِ، وقد وطَّدْتُ العزمَ على إنصافِهِ، فإذا جازَ للأمم الحيّةِ أَنْ تفاخرَ بشعرائِها الَّذين ذادوا عَنْ حياضِها وخلَّدوها، جازَ للأردنِّ أَنْ يفاخرَ بشاعرِهِ النّابغِ (مصطفى وهبي التل) القائلِ:

أنا (مصطفى وهبي) أتعرفُ مَنْ أنا؟

أنـا (شـاعـرُ الأردنِّ) غيرُ مـدافـعِ!

ومِنْ وقائعِ الذّكرى أُسجّلُ أنّه في يومٍ نديٍّ مِنْ أيّامِ نيسانَ 1922 حلَّ ضيفًا على بيتِنا في الكركِ معلمٌ شابٌّ فارعُ القامةِ، مستطيلُ الوجهِ، حادُّ النّظراتِ، بدويُّ القسَماتِ، ولفتَ انتباهي في هذا المارِدِ الأسمرِ، جرأتُهُ في طلبِ ركوةِ القهوةِ منّي، وشعرُهُ الأسودُ الفاحمُ المنسدلُ على كتفيه، ووجهُهُ المعروقُ، ولثغتُهُ (راء) محبَّبةٌ تدخلُ الآذانَ بلا استئذانٍ، وقد سألْتُهُ بروحِ طفولتي الوثّابةِ عن شَعْرِه المنسدلِ، أجابَ: تأسّيًا بعمرَ الخيّامِ، وكانت هذهِ أوّلَ مرةٍ أسمعُ باسمِ عمرَ الخيّامِ، وسألْتُهُ لِمَ كفّاهُ صغيرتانِ والأناملُ طويلةٌ؟ أجابني: الكفّانِ صغيرتانِ لكنَّ المُخَّ كبيرٌ. أيقنْتُ وقتَها أنّني أمامَ فيلسوفٍ شاعرٍ.

وُلِدَ مصطفى وهبي في الخامسِ والعشرينَ مِنْ أيّارٍ عام 1897 في إربدَ، وَرِثَ عَنْ أبيه صالحٍ التلِّ رهافةَ الحسِّ وتوقُّدَ الذّكاءِ، وورثَ عن والدتِهِ مريم المحيلان حدّةَ اللسانِ والطّبعِ، والعِنادَ. أنهى تعليمَهُ في مدرسةِ عنبرَ

في دمشقَ، وفي عام 1930 قدّمَ امتحانًا في القوانينِ والأنظمةِ المعمولِ بها في الأردنِّ، فتفوّقَ فيها ونالَ شهادةَ المحاماةِ علمًا أنّه درسَها على نفسِهِ دونَ الالتحاقِ بجامعةٍ.

وعن ثقافتِهِ أستطيعُ القولَ: إنّه كانَ على جانبٍ عظيمٍ من سعةِ الاطّلاعِ وكثيرًا ما كانتْ تدورُ بيننا مساجلاتٌ حادّةٌ عَنْ قضايا اللغةِ، وغيرها.

عُيّن عرارٌ مأمورًا للإجراءِ فرئيسًا لكُتّابِ محكمةِ إربدَ، ثمَّ مساعدًا للنائبِ العامِّ في عمّانَ، ويومَ كانَ يشغلُ هذهِ الوظيفةَ كتبَ قصيدةَ «إخواني الصعاليك» يُشفِقُ فيها على أولئكِ المناكيدِ الَّذينَ سامَهم المُرابون ذُلًّا. ولم يكنْ عرارٌ في مذاهبِهِ الاجتماعيّةِ متطرّفًا، وإنّما كانَ ثائرًا على الإقطاعيّةِ وداعيًا إلى قيامِ مجتمعٍ تعاونيٍّ حرٍّ، مجرّدٍ مِنْ الاستغلالِ السياسيِّ والاجتماعيِّ، يُؤمِّنُ للفقيرِ خبزَه ويسّرُ لهُ حياةً تفيضُ عدلاً، لذا نجدُهُ ثائرًا رافضًا للظلمِ، وقد تحمّلَ في ذلكَ فقدانَ مناصِبِه ودخولَ السّجنِ غيرَ مرّةٍ، ومِنْ شعرِهِ في هذا المقامِ:

قولـوا لـ(عبّـود) عـلَّ القـولَ يشـفيني
إنّ المُرابيـنَ إخـوانُ الشّـياطينِ
كأنّمـا النّـاسُ (عبـدانٌ) لِدِرهمِهـمْ
وتحـتَ إمرتِهـم نـصُّ القوانيـنِ
أأَسْـجُنُ النـاسَ إرضـاءً لخاطِركـم
وخشيةَ (العزلِ) مِن ذا (المنصبِ الدّونِ)؟

ونتيجةَ انتشارِ الفسادِ الإداريِّ والفقرِ واضطرابِ الواقعِ السياسيِّ وضياعِ فلسطينَ توجّه عرارٌ إلى التّلهي بمضاربِ النّوَرِ ومصادقتِهم، ويرى فيهم مجتمعًا متسامحًا تسودُهُ روحُ المساواةِ، ويعجُّ شعرُ عرارٍ بذكر النّوَرِ ومحاسنِهم والتغنّي بعاداتِهم:

(بيـنَ الخرابيشِ) لا(عبـدٌ) ولا (أمَةٌ)

ولا (أرِقّـاءُ) فـي أزيـاءِ أحـرارِ

(بينَ الخرابيش) لا حرصٌ ولا طمعٌ

ولا احتـرابٌ علـى (فِلْـسٍ) و(دينارِ)

تغنّى عرارٌ بالمكانِ الأردنيِّ، فذكرَ كثيرًا وادي الشتا، ووادي اليابس، ووادي السّير المكان الَّذي أحبَّ فيه فتاةً شركسيّةً وتغنّى بها بقولِهِ:

يا جيرةَ البانِ ليتَ البانَ ما كانا

ولا عرفْنا بوادي السّير خِلّانا

وتناهى يومًا لعرارٍ أنّ النّوَرَ ضربوا قِبابَهم في وادي السّيرِ، فتمنّى لو جعلَ المسؤولون الوقوفَ بوادي السيرِ إجباريًّا:

ليتَ الوقوفَ بـِ(وادي السير) إجباري

وليتَ جارَك يا (وادي الشتا) جاري

ومِنْ جوانبِهِ الوطنيّةِ المشرقةِ أنّهُ رأى في العدوِّ المحتلِّ لفلسطينَ خطرًا يهدِّدُ الوطنَ العربيَّ ويُعجِّلَ في تهويدِ فلسطينَ، وفي ذلكَ قولُه:

يـا ربِّ إنْ (بلفـورُ) أنفـذَ وعـدَه

كَـمْ (مسـلمٍ) يبقـى وكـم (نصراني)

وكيانُ (مسجدِ) قريتي مَنْ ذا الَّذي

يُبقـي عليـهِ إذا أُزيـلَ كيانـي

إنّ صِلَتي بعرارٍ وثيقةُ العُرى، عميقةُ الجذورِ، تجعلُني أُجْمِلُ أهمَّ صفاتِهِ وخصائِصِه الَّتي عرَفْتُها فيهِ: وجهٌ نحاسيٌّ لا يَنْدى، وقلقٌ دائمٌ مستحوذٌ عليهِ، ووفاءٌ لافتٌ، فيومًا كنْتَ تلقى شاعرَنا عربيًّا قوميًّا، ويومًا أردنيًّا إقليميًّا مفرطًا،

ويومًا قطبًا مِنْ أقطابِ المعارضةِ، ويومًا مِنَ الموالينَ للقصرِ وآخرَ مِنْ روّادِ خرابيشِ النَّوَرِ، لم تُبْطِرْه الألقابُ والنِّعمةُ، ولا تضعضعُهُ المنافي والنِّقمةُ، أَلِفَ الشّقاءَ والحرمانَ. وخلاصةُ القولِ كان عرارٌ فريدًا في حياتِهِ، لا تلذُّ له حالةٌ حتّى يثورَ عليها، ولا يطمئنُّ إلى عيشٍ حتّى يحارِبَهُ.

(يعقوب العودات، عرار: شاعرُ الأردنّ)